الشيخ على محمود
فى صوته كل آلات الطرب

الشيخ على محمود

هو إمام المنشدين.. استاذ فى فنه. وعلى يديه تعلم الكثيرون حتى إن الشيخ محمد رفعت صار تلميذا له واجتمعا على كف البصر ونقاء البصيرة. وطلاوة الصوت. تحس فى صوته سلما موسيقيا.. فتراه مرة عازفا للعود.. ومرة أخرى عازفا للكمان.. نعم فقد تجمعت فى صوته كل آلات الطرب.

ولد الشيخ على محمود سنة ١٨٧٨ بحارة درب الحجازى كفر الزغارى بحى الجمالية لأسرة غنية.. وبعد فترة من مولده أصيب بحادث أدى إلى كف بصره كاملا.

التحق بكتاب مسجد «فاطمة أم الغلام» وحفظ القرآن الكريم ودرس علومه على يد الشيخ أبو هاشم الشبراوى ثم جوده وأخذ قراءاته على الشيخ مبروك حسنين. ثم درس الفقه على يد الشيخ عبد القادر المزنى.

درس الشيخ الموسيقى على يد الشيخ إبراهيم المغربى. وعرف ضروب التلحين والعزف وحفظ الموشحات. كما درسها أيضا على يد شيخ أرباب المغانى محمد عبد الرحيم المسلوب وحيد عصره وفريد دهره فى الموسيقى. كما أخذ تطورات الموسيقى على يد الشيخ عثمان الموصلى وهو تركى استفاد منه فى الاطلاع على الموسيقى التركية وخصائصها.

صار الشيخ على محمود واحدا من أشهر أعلام مصر.. قارئا ومنشدا ومطربا وأصبح قارئ مسجد الإمام الحسين الأساسى وبلغ من عبقريته أنه كان يؤذن للجمعة فى الحسين كل أسبوع أذانا على مقام موسيقى لايكرره إلا بعد سنة. كما صار منشد مصر الأول الذى لايعلى عليه فى تطوير وابتكار الأساليب والأنغام والجوابات.

إمام المنشدين ومعجزة التلحين والأداء الشيخ على محمود يعتبر زعيما لمدرسة الإنشاد الدينى. ولعله أجمل الأصوات التى تصافح أنغامها آذاننا.

وإذا كان الغنـاء العربى يحفـل فى جميع مؤلفاتـه الغنائية بمعانى الحب والهيام والغزل وذكر أوصاف الحبيب فإن الحبيب هنا فى الغناء الصوفى هو الرسـول عليه الصلاة والسلام. سـواء كان هذا الغناء ينشد علـى الأذكار أم فى الحفلات الدينية والموالد الخاصة بنخبة النخبة من أهل البيت والصحابة والمريدين.

ولعـل أجمل وأصعب نوع من الأذان المسـجل بالإذاعة والتليفزيون هو بصوت الشـيخ على محمود. ومن أجمل ألحانـه الدينية: ته دلالا، لى من هواك. أنا فيك ذو وله. خطرت وقد خطرت بربك يا من السعد أقبل بابتسـام. كم أطال الوداد، خليانى ولوعتى. سـل يـا أخا البدر. أدرك ذكرمن أهوى. جدد الوصل.

ولقد سـجلت هذه المقطوعات الغنائية على اسطوانات عدة. ومن أجمل هذه الألحان وأصعبها أداء «يانسـيم الصبا تحمل سلامى».. وكان الشيخ على محمود بجرأته المسـتحبة قد أشرك فى تسـجيلها «سامى الشوا» عازف الكمان الأول بصعوبة بالغة.

الأديب الراحل محمد فهمى عبد اللطيف له رأى فى الشيخ يقول «كان الشيخ على محمود سيد المنشـدين على الذكر والمغنيين للموالد والمدائح النبويـة. وكأنى بهذا الرجل يجمع فى أوتـار صوته كل آلات الطرب. فإذا شاء جرى به فى نغمة العود أو الكمان أو شدا به شدو الكروان وقد حباه الله لينا فى الصوت وامتدادا فى النفس.

من أشهر النوابغ الذين اكتشفهم الشيخ على محمود القارئ العملاق قيثارة السماء الشيخ محمد رفعت الذى استمع إليه شيخنا مرة عام ١٩١٨ قارئا فتنبأ له بمستقبل باهر وبكى عندما عرف أنه ضرير.. واستفاد الشيخ محمد رفعت فى بدايته كثيرا من شيخنا. حتى صار سيد قراء مصر وصوت الإسلام فيما بعد.

هناك أيضا الشيخ العبقرى طه الفشنى الذى كان عضوا فى بطانة شيخنا واستفاد من خبرته الشيء العظيم حتى صار سيد فن الإنشاد بعد الشيخ على محمود. بالإضافة إلى الشيوخ كامل يوسف البهتيمى ومحمد الفيومى وعبد السميع بيومى.

ولا ننسى إمام الملحنين الشيخ زكريا أحمد الذى كان عضوا فى بطانته وتنبأ له شيخنا بمستقبل باهر فى عالم الموسيقى وأمد الله فى عمره حتى شاهد تلميذه سيد مُلحنى عصره حتى الموسيقار محمد عبد الوهاب وكوكب الشرق أم كلثوم وأسمهان تعلموا منه الكثير.. فكان أستاذا لكثيرين.

ترك الشيخ على محمود عددا من التسجيلات القرآنية لسور: الأنفال ويوسف والكهف ومريم والأنبياء والقيامة.. وقصار السور، ومن الأناشيد والموشحات والأغانى: أشرق فيومك ساطع بسام (مقام بياتى) أدخل على قلبى المسرة والفرح (مقام بياتى). تـه دلالا فأنت أهلا لذاكا (مقام هزام). خليانى ولوعتى وغرامى (مقام رست). السعد أقبل

(مقـام نهاوند). هتف الطير بتحلال الصبا (مقام حجاز) أهلا بغزال (مقـام صبا) أنعم بوصلك (مقام بياتى) سـل يا أخا البدر (مقام عجم) يانسيم الصبا (مقام حجاز). فيا حيرة الشعب اليمانى (مقام سيكاه). طلع البدر علينا (مقام هزام). شكوت لخاله لما جفانى(مقام بياتى).

وفى الحادى والعشـرين من شـهر ديسـمبر عام ١٩٤٦خفت الصوت ووهن الجسـد ودخل إلى رحاب ربه راضيا مرضيا جزاء ماقدمه خدمة لكتاب الله.

obeikandl.com

الشيخ محمد رفعت
رجل حفظ القرآن ببصيرته

في حوار أجراه الإعلامي الكبير أحمد سمير رئيس التليفزيون الأسبق سأل فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى عن رأيه في كل من: الشيوخ محمود خليل الحصرى وعبد الباسط عبد الصمد ومصطفى إسماعيل ومحمد رفعت. فأجاب الشيخ الشعراوى بقوله: إن أردنا أحكام التلاوة فهو الحصرى. وإن أردنا حلاوة الصوت فهو عبد الباسط عبد الصمد وإن أردنا النفس الطويل مع العذوبة.. فهو مصطفى إسماعيل.

وإن أردنا هؤلاء جميعا فهو الشيخ محمد رفعت.

نعم هو الشيخ محمد رفعت ذلك الصوت الذى تجسدت فيه كل معانى

الشيخ محمد رفعت

القرآن الكريم. صوت يخرج من القلب ليحب فى قلوب المستمعين.

ولد الشيخ فى عام ١٨٨٠، وبعد عامين من مولده أصيب برمد فى عينيه أفقده البصر. ولكن لم يفقد العزيمة.. ورب ضارة نافعة، فتلك المحنة كانت جواز مروره إلى عالم القراء. بل جعلته أعظم من قرأ القرآن. وربما أقعدته عند وظيفة مدرس فى مدرسة أو موظف فى وزارة.

وقد رُزق به والده ضابط الشرطة بعد أن أصبح مأمور قسم الخليفة، وكان والده: يحمله على ذراعه ويسير به فى درب «الأغوات» بحى المغربلين بالقاهرة وهو يكاد يطير فرحا بوليده الرقيق صاحب «العينين الواسعتين». وما كان أحد يصدق وهو ينظر إلى هذا الطفل أنه «كفيف البصر».

تلقى الشيخ محمد رفعت دروسا فى تفسير القرآن الكريم والقراءات السبع. وتعلم فن التجويد على يد أستاذيه: الشيخ محمد البغدادى والشيخ السمالوطى. ثم اتجه أيضا صقلا لموهبته إلى دراسة الموسيقى ليتعلم قواعدها وأصولها. وحفظ مئات الأدوار والتواشيح والقصائد الدينية. وتعلم مبادئ العزف على العود وبعض الآلات الموسيقية الأخرى.. وأتم حفظ القرآن الكريم قبل أن يكمل العاشرة من عمره.

وقد خبأ له القدر مسئولية جديدة لتضاف إليه. إذ توفى والده فأصبح يجد نفسه مسئولا عن أسرته. فبدأ يشارك فى إحياء ليالى المآتم فى السرادقات. وهناك سمعه مشاهير القراء فى تلك الفترة، وبروح الحب للدم الوليد فى عالم القراءة.. قدروا فيه الفن والموهبة.

ولما بلغ الخامسة عشرة من عمره. سعى القراء إلى تعيينه قارئا للسورة بمسجد «مصطفى فاضل باشا» وهو مسجد صغير ملحق بمسجد «بشتك» بدرب الجماميز بالسيدة زينب بالقاهرة وكان المسجد يزدحم بالمصلين الذين كانوا يبكرون فى الحضور قبل الصلاة بساعتين. -قبل أن يبدأ الشيخ التلاوة بساعة على الأقل- ليستطيعوا احتلال أماكنهم مبكرين حرصا على الاستماع إلى الشيخ العظيم والذى ظل قرابة ٢٥ عاما من عام ١٩١٨ حتى عام ١٩٤٣ قارئا به حتى فاجأته «الزغطة» وأقعده المرض عن القراءة.

وكانت بالمسجد شرفة كبيرة كان يجلس بها الأجانب يستمعون إلى صوت الشيخ رفعت الساحر. وبمجرد انتهائه من تلاوة القرآن كانوا يتسابقون فى النزول لتقبيل يده. فمن خلال صوته وعلى يديه أسلم الكثيرون.

يقول عنه علماء الموسيقى: فى صوت الشيخ محمد رفعت اجتمعت كل مميزات الحنجرة العربية من الأنغام والأوتار الصوتية الخلاقة، فضلا عن استيعابه المذهل لمعانى القرآن الكريم. وتمثيله إياها للناس. كأنما يلمسونها بالأيدى ويرونها بالأعين. فقد أثبت بترتيله الساحر موسيقية القرآن الكريم. فشدوه الفريد مع تآلف المعنى وقوة التصوير، مع روعة الإيحاء بسيط ومُعجز.

ومع افتتاح الإذاعة المصرية فى نهاية مايو ١٩٣٤. تم التعاقد مع الشيخ رفعت للقراءة لمدة سنتين قابلة للتجديد وقد اعتبر بعض القراء فى ذلك

الوقت أن قراءة القرآن الكريم بالإذاعة بدعة مضلة حتى حسم الشيخ الأحمدى الظواهرى شيخ الأزهر وقتها الموقف بإصداره فتوى شرعية تفيد بأن قراءة القرآن الكريم بالإذاعة ليست محرمة أو مكروهة. فانضم إلى الإذاعة بعد الشيخ رفعت: الشيخ عبد الفتاح الشعشاعى. ثم أبو العينين شعيشع.

ثم اتسعت الدائرة بعد ذلك فشملت عددا كبيرا من القراء. حتى أفردت الإذاعة بعد ذلك إذاعة خاصة للقرآن الكريم تطورت حتى شملت بجانب ترتيله كل علم يتصل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

روى لى الشيخ أبو العينين إنه كان شغوفا بصوت قيثارة السماء الشيخ محمد رفعت. ولذلك أخذ فى بدايات علاقته بتلاوة القرآن الكريم فى تقليد صوته حتى كاد السامع لايفرق بين الصوتين. وكان يذهب إلى مسجده لسماع صوته.

وذات مرة وفد إلى مسجد «فاضل باشا» وأصر على الجلوس عند دكة الشيخ وعلى مقربة منه ولما فرغ الشيخ رفعت من القراءة أقبل عليه الناس لتقبيل يده وقال أحدهم للشيخ: هل سمعت عن ذلك الصبى أبو العينين شعيشع الذى يقلدكم؟.

فقال الشيخ رفعت: نعم سمعت وبارك الله فيه.

يقول الشيخ شعيشع: هنا اندفعت من مكانى مقبّلا يده فربت الشيخ على كتفى قائلا: مين يابنى قلت: تلميذك أبو العينين شعيشع. فأخذ الشيخ

يثنى علىّ ويدعو لى بالتوفيق، وقال سيكون لك شأن كبير مع القرآن.

ويروى الشيخ عتريس القوصى رئيس رابطة القراء العامة أن المقاهى والنوادى كانت تستعد لروادها مساء الاثنين والجمعة موعد إذاعة القرآن الكريم بصوت الشيخ رفعت فيزيدون من الكراسى لكثرة المستمعين. ومع ذلك فإن كثيرا من الحاضرين كانوا لايجدون أمكنة. فيقفون فى عرض الشارع ليستمعوا إلى تلاوة الشيخ الفذ الذى تفوق على فحول القراء المعاصرين له. مع أنهم كانوا كثرة. ولهم مع ذلك قدر وشهرة واسعة.

ويقول الشيخ القوصى: عاش الشيخ محمد رفعت فى بلده مصر لم يبرحها ولم يستجب للبلاد الكثيرة التى طلبته بإلحاح شديد. فقد كان قانعا. ليس من همه جمع المال. وكان عفيفا يرفض ما يقدم إليه فى مرضه على سبيل الهدايا أو العون.

ويروى أحد الصالحين من مريدى الشيخ محمد رفعت أنه دعى ذات يوم لإحياء ليلة مأتم. وأراد أهل التوفى تكريما للشيخ وحضوره أن يمنحوه فى نهاية الليلة جنيها من الذهب- بمقاييس عصره- وقد كان، وذهب الشيخ إلى بيته وقبيل الفجر سمع طرقا على الباب. ففتح أهل منزله الباب وسأل الطارق عنه فجاء الشيخ مستفسرا. فقال الرجل أنا من كنت عندهم بالأمس وقد أخطأنا عن غير قصد وأعطيناك مليما لاجنيها من ذهب. وهاآنذا أرد لك الجنيه فما

كان من الشيخ إلا أن طيب خاطره قائلا له: هذا رزق ربى والحمد لله على ما رزقنى.

وأهم مايميز قيثارة السماء الشيخ محمد رفعت استيعابه المذهل لمعانى القرآن وإرتباط اللفظ بالمعنى بحيث كان يصور المعنى تصويرا يملأ شغاف قلب السامع، وكان صوته يجمع بين الخشوع وقوة التأثير. يعرف مواضع الترهيب والزجر. والتشويق والترغيب. وكان يطوع صوته تبعا للآية التى يتلوها. فتارة تراه إعصارا فى قوة. وتارة أخرى يفيض عذوبة ورقة.

إن الشيخ رفعت فى صوته ماهو إلا آية من آيات الله فى خلقه. كان على عكس البعض من القراء. صوتهم يخرج من حناجرهم. ولكن صوته كان يخرج من القلب فيمس القلب.. قلب المتلقى فيحدث به هدوءا وطمأنينة.

استطاع الشيخ رفعت كذلك بصوته الملائكى أن ينتقل بسامعيه إلى عالم الروحانيات وارتبط صوته بشهر رمضان فما كنت تسمعه فى أى وقت يتلو آيات الله أو يؤذن للصلاة. إلا تذكرت شهر الصوم. وكأنه أصبح سمة من سمات هذا الشهر الكريم.

وحتى اليوم وبعد رحيله بعشرات السنين. فما زالت آذان المستمعين على اختلاف ألوانهم تسعى إلى صوته الرخيم. وتكونت جمعيات من محبى الشيخ رفعت ومريديه قاموا بتجميع مايقرب من ٢٧٨

اسطوانة تضم ١٩ سورة مدتها ٢١ ساعة وقدموها هدية لإثراء المكتبة الإذاعية وفاء منهم للرجل الذى كان أول من قرأ بها عند بداية افتتاحها فتعلقت القلوب بتسجيلاته الشهيرة لسور «يوسف والكهف والرحمن وآل عمران ومريم» وغيرها من السور.

وقد خرجت شهرته من نطاق المحلية والعربية إلى نطاق العالمية ويكفيه فخرا بصوته وعلمه أن إذاعات لندن وباريس وبرلين- فى محاولة منها لجذب أنظار وأسماع المستمعين فى العالم الإسلامى إلى برامجها ونشراتها الإخبارية- كانت تذيع تسجيلاته القرآنية أثناء الحرب العالمية الثانية.

عاش الشيخ محمد رفعت عمره فى الحياة عفيف النفس، ويروى أنه كان يقرأ القرآن فى سرادق عابدين. ولما فرغ من قراءته. وكانت عادة الملك فى ذلك الوقت إعطاء نفحة من النقود للقراء. وطُلب الشيخ رفعت لذلك فرفض فى إباء قائلا إنه يقرأ القرآن لله ولذلك فلا أجر عليه.

وظل إمام القارئين يرتل آيات الله فى إيمان وخشوع. وصنع لنفسه مع الناس جسرا من المحبة والمتعة الروحية. حتى قهره المرض، فاستسلم لقضاء ربه غير نادم على الحياة.. وكيف لا وقد قضاها مع كتاب الله فهو الآن فى رحاب صاحب الكتاب. وسقط منه الجسد ولم تسقط الروح فى عام ١٩٥٠.

ومـن عجيب قدر الله أنه ولد وتوفى فى يـوم الإثنين.. وكانا موافقين للتاسـع من مايو «لعلهـا حكمة إلهية» رحم الله الشـيخ بقدر ما أعطى وبقدر ما أثلج القلوب.

الشيخ رفعت بين محبيه ومريديه